التعليم الرقمي وتطوير المناهج وبناء القدرات من الصف إلى العالم

د. هشام الشيخلي
أستاذ مساعد في علم وظائف الأعضاء وعلم الامراض الوظيفية
أخصائي في الفسلجة العصبية، كلية التمريض- جامعة قطر.

المقدمة

لقد كانت التربية والتعليم دائمًا العمود الفقري لتقدّم الإنسان. فمنذ قرون طويلة مضت والتعليم محصور بين جدران الصفوف الدراسية والكتب الدراسية والتفاعلات المباشرة. أما اليوم، فقد تجاوز التعليم تلك الحدود؛ فلم يعد مقتصرًا على الحضور الجسدي في قاعات المحاضرات، بل أصبح الوصول إلى المعرفة متاحًا في أي وقت ومن أي مكان من خلال التعليم الرقمي، وإعادة التفكير في المناهج الدراسية، وبناء القدرات المؤسسية والفردية.

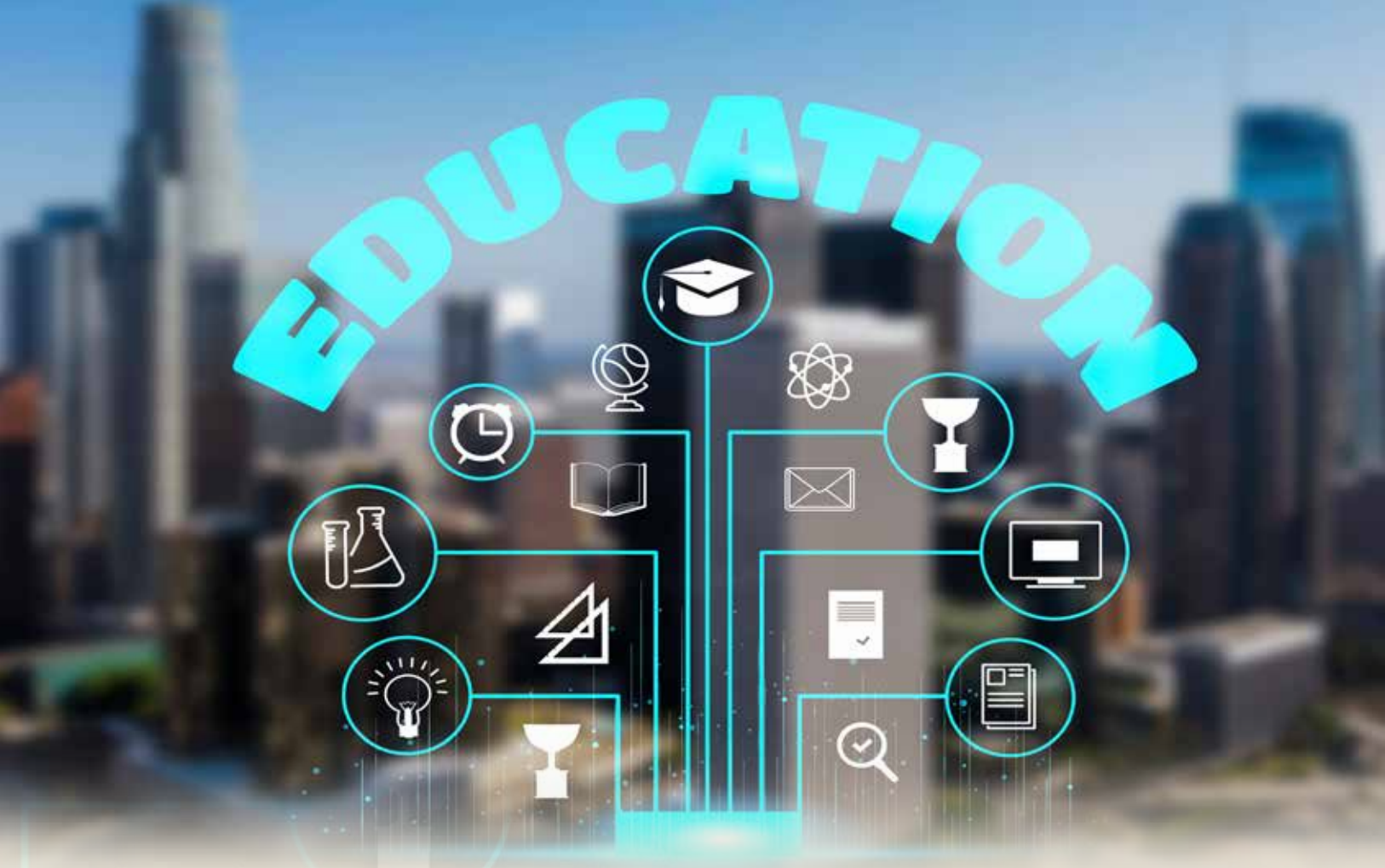

التعليم الرقمي: آفاق متوسعة

لم يعد التعليم الرقمي رفاهية، بل غدا ضرورة مُلحَّة. فقد أثبتت جائحة «كوفيد-19» ذلك بوضوح: إذ تعثرت المؤسسات التي لم تكن مهيأة رقميًا، بينما ازدهرت المؤسسات التي تبنَّت التكنولوجيا.

يمنح التعليم الرقمي الطلبة مرونة غير مسبوقة؛ حيث يمكنهم مشاهدة المحاضرات وفق إيقاعهم الخاص، وإعادة مراجعة المواد المعقّدة، ومواءمة عملية التعلُّم مع جداولهم الزمنية. أما بالنسبة للمهنيين، فيوفِّر فرص التعلُّم مدى الحياة من خلال الدورات القصيرة والشهادات المعتمدة عبر الإنترنت.

والأهم من ذلك أن التعليم الرقمي يزيل حواجز المكان؛ فطالب في الدوحة يمكنه الانضمام إلى ندوة يقدمها أستاذ في أوروبا، بينما يتعاون في الوقت نفسه مع زملاء في آسيا وإفريقيا. إن هذه القدرة على الاتصال لا تُثري المعرفة الأكاديمية فحسب، بل تعزز أيضًا الفهم والتقارب بين الثقافات.

ابتكار المناهج: الاستعداد للمستقبل

إذا كان التعليم الرقمي هو الوسيلة، فإن المنهاج هو الروح. فقد كانت المناهج التقليدية تركز على المحتوى بشكلٍ كبير، وكان النجاح يُقاس بمدى الحفظ والاستظهار. لكن في عالم تفيض فيه المعلومات وتتوفر فورًا، لم يعد الحفظ وحده كافيًا.

تركز المناهج الحديثة على مهارات القرن الحادي والعشرين، مثل: التفكير النقدي، الإبداع، حل المشكلات، العمل الجماعي، والقدرة على التكيُّف. إذ يُشجَّع الطلبة ليس فقط على اكتساب المعلومات، بل على التساؤل حولها، وتقييمها، وتطبيقها في سياقات الحياة الواقعية.

وفي جامعة قطر، برز التعلُّم المدمج كنموذج متقدِّم يجمع بين أفضل ما في العالمين: التواصل الإنساني في القاعات الدراسية التقليدية مع مرونة المنصَّات الرقمية. وهذا النهج يتماشى مع رؤية الجامعة في إعداد خريجين قادرين على الازدهار في اقتصاد عالمي قائم على المعرفة.

بناء القدرات: الإنسان في قلب العملية

يقف وراء كل نظام تعليمي ناجح أشخاص: المعلمون، والطلاب، والإداريون. فالتكنولوجيا مهما بلغت لا يمكن أن تحلّ محل العنصر البشري.

المعلمون هم قلب العملية التعليمية، وهم بحاجة إلى تطوير مهني مستمر لتمكينهم من إتقان الأدوات الرقمية، وتبنِّي استراتيجيات تعليمية مبتكرة، والاستجابة لاحتياجات الطلبة المتغيّرة. أما الطلبة، فيجب تمكينهم ليصبحوا متعلمين فاعلين يعتمدون على أنفسهم، قادرين على إدارة وقتهم، والعمل التعاوني بفعالية، والتفكير النقدي. كما ينبغي على المؤسسات أن تستثمر في البنية التحتية: الإنترنت الموثوق، وأنظمة إدارة التعلُّم المتقدّمة، والسياسات الداعمة. وذلك لأن بناء القدرات يعني إيجاد منظومة متكاملة يتعاون فيها المعلمون والطلبة والتكنولوجيا بانسجام.

أمثلة ملهمة

على الصعيد العالمي، أحدثت منصّات مثل «كورسيرا» و«إدكس» ثورة في الوصول إلى التعليم، حيث مكّنت ملايين المتعلمين من حضور دورات من جامعات مرموقة مثل هارفارد ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا.

وعلى الصعيد المحلي، أظهرت جامعة قطر مرونة كبيرة أثناء الجائحة بانتقالها السريع إلى التعليم عبر الإنترنت. وقد عكس هذا التكيُّف التزام الجامعة بالابتكار ودورها الريادي في المنطقة. ولا تزال الجامعة تستثمر في نماذج التعلُّم المدمج وبرامج تطوير أعضاء هيئة التدريس، لضمان حصول الطلبة على تعليم متكامل يواكب المستقبل.

الأهمية

إن هذا التحول ليس مجرد تحسين للتعليم، بل هو خطوة نحو صياغة مستقبل الأمم. وبالنسبة لدولة قطر، فإن تبنِّي التعليم الرقمي، والمناهج الحديثة، وبناء القدرات يُشكِّل ركيزة أساسية في رؤيتها للتحوُّل إلى مجتمع قائم على المعرفة.

إن خريجي الغد لن يحملوا شهادات فقط، بل سيحملون أيضًا المهارات والإبداع والقدرة على التكيّف اللازمة لمواجهة التحديات العالمية، والمساهمة في الابتكار، والريادة في مختلف المجالات.

الخاتمة

إن التعليم اليوم هو رحلة تتجاوز الجدران والحدود. الأدوات الرقمية توفِّر الوصول، والمناهج تصقل العقول، وبناء القدرات يضمن الاستدامة. معًا، تُشكِّل هذه الركائز خارطة طريق نحو مستقبل تعليمي أكثر إشراقًا لدولة قطر الحبيبة وللعالم أجمع.